خطوة اجرائية تهدف الى التعرّف على القادة الوطنيين للانتفاضة، أم انها محاولة جدّية لاخراج الجميع من المأزق الراهن؛ اسرائيلياً نحو تخليص اسرائيل من احتلالها الذي تزداد أزمتها تفاقماً بسبب استمراره؛ وفلسطينياً نحو بدء مسيرة الحل الواقعي، الذي يلبّي طموح الشعب الفلسطيني؛ أم انها خارج هذين السياقين وترمي الى كسب الوقت فعلاً ؟

الرهانات الثلاثة

يتضح من قراءتنا للموقف الاميركي ان واشنطن تراهن على اطالة أمد الحوار مع م.ت.ف. مستبدلة سياسة «الخطوة خطوة» الكيسنجرية بسياسة تقديم المطالب «وجبة وجبة»، وحصر المباحثات الثنائية مع م.ت.ف. في دائرة التعرّف عليها والتحقّق من نواياها، أي ابقائها ضمن دائرة الاستكشاف التي تحدثنا عنها، قبل اتخاذ أية خطوة عملية. وتحت مظلة الحوار المتقطع بين الطرفين، الاميركي والفلسطيني، تواصل الولايات المتحدة ممارسة تكتيكها الجديد، القائم على التقرّب المدروس من م.ت.ف. وتقديم المطالب المدروسة أيضاً، وبصيغة دبلوماسية هادئة. وفي هذه المرحلة، تفضّل واشنطن ان تأخذ كثيراً قبل ان تعطي قليلاً؛ في حين انها تتبع سياسة مغايرة تجاه اسرائيل؛ فتعطي كثيراً لتأخذ قليلاً. فقد ضمنت لاسرائيل رفض الدولة الفلسطينية المستقلة، ودعم موقفها من الانتخابات في الضفة والقطاع، وهي تضع هذه الامور، جميعها، في سياق سياستها العامة في الشرق الاوسط.

أمّا الرهان الاسرائيلي، فينعقد على التخلّص من الانتفاضة تحت وابل من المبادرات وصيغ الحلول المخادعة التي لا تستهدف سوى ايقاف الانتفاضة، بعد ان عجزت كل وسائل الضغط، السياسية والعسكرية، القمعية، بما فيها وسائل القتل المباشر، عن ايقافها.

أما م.ت.ف. فتراهن، فعلاً، على استمرارية الانتفاضة، أي على نقطة العجز الاسرائيلية الأساسية. وهي لا تستطيع ان تضع الانتفاضة موضع مساومة. فبعد ان نجحت م.ت.ف. في التقاط زمام المبادرة وتشكيل قوة ضغط دولية على اسرائيل، تحوّلت الانتفاضة الى مصنع انتاج مقوّمات هذا الضغط. وصارت استمراريتها هي الرهان الوحيد الممكن لضمان ترجمة هذا الضغط الى قوة محلية داخل اسرائيل ذاتها، لتغيير تناسب القوى الحالي، والفعل في مستويات الرأي العام كافة، لتشكيل قوة ضغط اسرائيلية تتغذّى من مقولة عدم جدوى الاحتلال، وتتلمّس عواقبه، وتتأثر، مباشرة، بسلبياته. أما الانتخابات، فتبقى هدفاً ومطلباً يمكن استعادة مقوّماته ومبرراته في حالة واحدة فقط، هي عندما تخرج المناطق المحتلة من يد الرقابة الاسرائيلية الى يد المراقبة والحماية الدوليتين، وتتأمّن مشاركة م.ت.ف. في المؤتمر الدولي للسلام، بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. عندئذٍ، قد تصبح الانتخابات مقدمة لتنظيم حياة السكان، الى حين تتسلّم م.ت.ف. سلطات الدولة في مناطق الضفة والقطاع التي لا تعود محتلة.